

الممارسات الثقافية لقبيلة الفقراء والمليكاب دراسة ميدانية في مصر والسودان في الأنثروبولوجيا الثقافية

محمد جمال محمد صادق*
معهد البحوث والدراسات الأفريقية ودول حوض النيل
جامعة أسوان

الملخص:

تتناول هذه الدراسة ديناميات الوفاة في التراث الثقافي , تعتبر الوفاة من أهم الظواهر الاجتماعية داخل جميع المجتمعات المختلفة، ولكل مجتمع طقوسه الهامة في التعامل مع ظاهرة الوفاة , وتتكاتف الأسرة والأقارب والجيران والاصدقاء في الاعلان عن الوفاة , وتهيئ الميتم , وارسال من يجهزون القبر , وآخرون لشراء مستلزمات الكفن , ومنهم يذهب لاستخراج تصريح الدفن , ويظهر التكاتف القوي بين الجميع في هذه المواقف الانسانية , ويتم تجهيز عربات لنقل النعش , والمشيعين للجنائز , ويتم الصلاة على الميت في أقرب مسجد ليتم سير الجنائز إلى المقابر , ودفن الميت , وأخذ العزاء في المقابر , وبعض الناس يفضلون عمل سرادق للعزاء سواء أمام المنزل أو في إحدى الجمعيات الخيرية , وتهدف هذه الدراسة التعرف على طبيعة طقوس الوفاة بشكل عام والتغيرات التي أحدثت في التراث الثقافي بشكل خاص , وأقترح الباحث أن هناك علاقة بين الوفاة وما أدخل داخل المجتمع من تغيرات اجتماعية واقتصادية وبيئية , أدى ذلك إلى حدوث تغير في التراث الثقافي بداية بإعلان الوفاة إلى دفن الميت وأخذ العزاء سواء في المقابر أو الجمعيات الخيرية . , وتتضمن الدراسة قسمين أولهما الوفاة , وثانيهما التراث الثقافي , وفي نهاية الدراسة يستعرض الباحث نتائج وتوصيات الدراسة.

Abstract

This study deals with the dynamics of death in the cultural heritage. Death is considered one of the most important social phenomena within all different societies. Each community has its own important rituals in dealing with the phenomenon of death. Within death rituals , the strong solidarity between everyone appears in these humanitarian situations, some of them go to obtain the burial permit, Vehicles s are prepared to transport the casket and the mourners for the funeral. The prayer is performed for the dead in the nearest mosque so that the funeral is conducted to the graves, then the dead is buried, and condolences are taken in the cemeteries, so some People prefer to make a marquee for mourning, whether in front of the house or in one of the charitable societies. This study aims to identify the nature of death rituals in general and the changes that occurred in the cultural heritage in particular. This led to a change in the heritage bypassing the beginning of announcing the deat to burying the dead and taking condolences, whether in cemeteries or charitable societies. The study includes two parts, the first is about death, and the

*Corresponding author E-mail: mohamedgamalsadek437@gmail.com

second is about cultural heritage. At the end of the study, the researcher reviews the results and recommendations of the study.

الكلمات المفتاحية : ديناميات، الوفاة، التراث الثقافي

1- مقدمة Introduction

تعتبر ظاهرة الوفاة من أهم الظواهر التي يتم دراستها في دورة الحياة للتعرف على التراث الثقافي الذي تتضمنه هذه الظاهرة الاجتماعية، والتي تجد الاحترام من الكبير والصغير والقريب والبعيد حتى العدو عند سماع خبر الوفاة يقف خاشعاً من رهبة الموت، وسوف تتناول الدراسة الحالية التغيرات التي حدثت في إجراءات طقوس الوفاة، وأصبحت موروث ثقافي يتمسك المجتمع بما يراه مقبول ويغير في بعضه نظراً للتغيرات الجوهرية التي تصيب المجتمع.

والوفاة كظاهرة اجتماعية تحتوى على تراث ثقافي خاص بها لا تحتويه ظواهر اجتماعية أخرى ولا تشترك فيه حتى ولو بجزء ضئيل.

موضوع الدراسة :

تعتبر ظاهرة الوفاة من أهم موضوعات دورة الحياة بأقسامها الرئيسية الثلاث " الميلاد - الزواج - الوفاة"، وأختار الباحث ظاهرة " الوفاة " بقرية الغابة بمركز دراو بمحافظة أسوان لقرب البعد الجغرافي، وتفرد الدراسة مجالاً لتعريف مفهوم الديناميات، ومفهوم الوفاة، ومفهوم التراث الثقافي.

وهذا ما تسعى إليه دراستنا الحالية للتعرف على التراث الثقافي لظاهرة الوفاة، والخطوات التي يتبعها أهل الميت بداية بإعلان الوفاة واستعدادات الغسل وإجراءات تصريح الدفن حتى الانتقال إلى المقابر وإجراء الدفن والتغير الذي أدخل على هذه الظاهرة الذي يوضح " الدينامية " أي التغير الذي يوضح إن تلك التغيرات تدون داخل التراث الثقافي في شكل إجراءات تحدد داخل طقوس الوفاة وبما هو جديد في تلك الطقوس، وما تم تركه وعدم الالتزام به.

الدراسات السابقة :

الدراسة الأولى : محمد حساني على -2021م(1)

بعنوان : ثقافة المجتمعات الحدودية بين مصر والسودان " دراسة لآليات التوطين الثقافي لقبائل العبادنة

والبشارية بوادي العلاقي .

أهم أهداف الدراسة :

1- التعرف على مورفولوجية مجتمع الدراسة " وادي العلاقي " .

2- التعرف على الموروث الثقافي لسكان مجتمع الدراسة .

3- التعرف على التغيرات التي طرأت على الموروث الثقافي لسكان المنطقة .

منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على النظرية الوظيفية، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن، ومدخل الايكولوجيا

الثقافية , والمنهج الأنثروبولوجي¹.

أهم نتائج الدراسة :

- إن مجتمع الدراسة فى حاجة شديدة الاهتمام الكامل بموروثات العلاقى الثقافىة (الغناء الشعبى - الرقص الشعبى - الفولكلور الشعبى) وتدعيم الفولكلور الشعبى لما له من أهمية كبيرة لدى السكان.
- وجود تقصير فى تطوير المدارس بوادى العلاقى , وأن مجتمع العلاقى بحاجة ماسة لإنشاء المدارس الإعدادىة والثانوىة ومساعدة الشباب للوصول إلى الجامعة .

أوجه الاتفاق والاختلاف :

الاتفاق :

- استخدام العديد من المناهج التى تساعد على تحقيق أهداف الدراسة مثل :
- المنهج التاريخى , والمنهج المقارن , ومدخل الأيكولوجيا الثقافىة , والمنهج الأنثروبولوجى .
- أهمية المعايشة فى مجتمع الدراسة مع التركيز على أهمية اللغة واللهجة المستخدمة حيث تختلف من قبيلة لأخرى , مع الاهتمام بالموروث الثقافى من حيث الموروث الغير مادى سواء عادات وتقاليد وعرف , مع الاهتمام بالموروث المادى كالمسكن أو الملابس أو الأطعمة .
- ضرورة أهمية الربط بين الموروث الثقافى الوارده والمتغيريات الجديدة , وأثر التحضر والمدنىة على تلك الثقافات.

الاختلاف :

أهتمت الدراسة السابقة بدراسة التوطن الثقافى , أما الدراسة الحالىة فأهتمت بدراسة العلاقة بين ظاهرة الوفاة والتراث الثقافى.

الدراسة الثانىة : محمد ماهر مصطفى -2013م(2)

بعنوان : إحياء التراث الثقافى بمدينة غدماس .

أهداف الدراسة :

- التعرف على المشاكل التى تواجه عمليات الحفاظ والترميم بمدينة غدماس .
- التعرف على طرق المحافظة على المبانى ذات القيمة المعمارية والتاريخىة والتراثىة فى مدينة غدماس القديمة.
- التعرف على محاولات التوعىة الشعبىة وتعريف المجتمع بمفهوم المحافظة على التراث الثقافى والحضارى للمدىنة.

- التعرف على وضع التراث وأهميته في مختلف المستويات التعليمية والفكرية والثقافية عن طريق تشجيع السكان في تحديد أولويات التطور والمساهمة في التنفيذ.

المنهج المستخدم :

استخدمت الدراسة العديد من المناهج : المنهج الأنثروبولوجي وأدواته , والمنهج التاريخي , ومنهج الأيكولوجيا الثقافية .

نتائج الدراسة :

- أوضحت نتائج الدراسة أن مدينة غدماش تحتاج إلى ترميم يراعى فيه استخدام مواد البناء التقليدية مع احترام المواثيق الدولية .

- أشارت نتائج الدراسة أن الترميم لا يقتصر على أعمال التجديد والتجميل , فالهدف من أعمال الترميم هو الحفاظ على التراث الثقافي للمدينة , وما يحمله من قيم تعبر عنه.

- أكدت نتائج الدراسة الميدانية أنه مخطط إدارة المدينة القديمة يحتاج إلى المزيد من التفعيل حيث أن معظم الجهود التي تبذل الهدف منها هو تجميل المدينة القديمة من أجل جذب السائحين .

أوجه الاتفاق والاختلاف :

الاتفاق :

- التعرف على المتغيرات التي حدثت داخل القبيلة وأثر ذلك على الممارسات الثقافية , موضحاً ذلك التراث وتطوره , وانتقاله من جيل إلى آخر .

- استخدام كل منهما المنهج الأنثروبولوجي وأدواته.

الاختلاف :

تركز الدراسة السابقة على التراث الثقافي بشكل عام , أما الدراسة الحالية تركز على علاقة ظاهرة الوفاة بالتراث الثقافي.

الدراسة الثالثة : سميح شعلان - 1991م (3)

بعنوان : الموت والمآثورات الشعبية , دراسة ميدانية بقرية كفر الأكرم بمحافظة المنوفية
أهداف الدراسة: - رصد العادات المتعلقة بالوفاة .

تحليل وتفسير تلك العادات من خلال السلوك الثقافي.

المنهج المستخدم : المنهج الوصفي التحليلي.

نتائج الدراسة : أوضحت الدراسة بمنظورها الفولكلوري من خلال الكشف عن الدور الذي يلعبه الزمان في صياغتها , والعوامل التي تدفع نحو تغييرها أو استمرارها . كما تكشف عن مدى انتشارها في مجتمعات مصرية أخرى, والمكان الذي يلعبه المكان في تحديد ملامحها. وتهتم كذلك بالمدى الذي تؤثر به التضاريس الاجتماعية في المجتمع في خلق قدر من التنوع في العادات المتعلقة بالموت.

مدى الاستفادة من هذه الدراسة : التعرف على العادات الشعبية المتعلقة بالوفاة, وتحليل تلك العادات من خلال السياق الثقافي الذي تدور فيه.

أوجه الاتفاق والاختلاف :

الاتفاق :

- تهتم كلتا الدراستين بدراسة الوفاة .
- التعرف على العادات الشعبية المتعلقة بالوفاة.

الاختلاف :

- فى طبيعة هدف كل دراسة.
- فى المجال الزمنى والمكاني لكل دراسة.

الدراسة الرابعة :مرفت العشماوى 1991م (4)

بمعنوان : دورة الحياة عند الفرد : دراسة أنثروبولوجية مقارنة للعادات والتقاليد الشعبية فى مجتمع رشيد .
المنهج المستخدم : المنهج المقارن- المنهج الوصفي التحليلي.

نتائج الدراسة :

- أوضحت الدراسة العادات المرتبطة بالطفولة والبلوغ من خلال عادات الرضاعة والفظام وشعائر التكريس والختان.
- عرض العادات والتقاليد المرتبطة بالوفاة فترصد الأيام التى يستوجب فيها زيارة المتوفى والعادات المرتبطة بالزيارة من مأكّل ومشرب وتلاوة ورحمه ثم العلاقة بأسر المتوفى .

مدى الاستفادة من هذه الدراسة : التعرف على العادات والتقاليد الشعبية فى مختلف مراحل الحياة بداية بالولادة إلى الوفاة وما بعد الوفاة.

أوجه الاتفاق والاختلاف :

الاتفاق : الاهتمام بالعادات والتقليد الشعبية المرتبطة بالوفاة , واستخدام المنهج الأنثروبولوجى وطرقه وأدواته.

الاختلاف : التركيز على الوفاة فى دورة الحياة للدراسة الحالية , واختلفا فى مجالات الدراسة.

وتتبلور مشكلة الدراسة : ديناميات الوفاة فى التراث الثقافى.

أهداف الدراسة : التعرف على إجراءات الوفاة فى التراث الثقافى بقبيلة الفقراء والمليكاب بالغابة بمركز دراو , وما أدخل على هذه الإجراءات فى طقوس الوفاة من تغيير.

فروض الدراسة : هناك علاقة بين الوفاة والتراث الثقافى.

حدود الدراسة : تتحدد الدراسة على ظاهرة الموت وتأثرها بالتراث الثقافى.

حدود بشرية : عدد 2 من الإخباريين , وعدد 14 مفردة منهم 10 (ذكور , 4 إناث) تمت المقابلات معهم فى قبيلة الفقراء والمليكاب فى قرية الغابة بمركز دراو بمحافظة أسوان.

حدود المكانية : قرية الغابة بمركز دراو بمحافظة أسوان.

حدود زمنية : من فبراير 2022 / 2/1 م إلى اغسطس 2022 / 8/28 م.

الاستراتيجية المنهجية للدراسة :

- نوع الدراسة : دراسة أنثروبولوجية ثقافية.

- المناهج المستخدمة فى الدراسة :

سوف يستخدم الباحث المنهج الأنثروبولوجى وطرقه وأدواته ويشمل على دراسة التالى :

- التعبير الثقافى الذى أدخل على ظاهرة الموت.

- تحليل بعض المراحل بعد إعلان الوفاة .

أدوات الدراسة :

1- الملاحظة . 2- الملاحظة بالمشاركة. 3- المقابلة 4- دليل المقابل.

مفاهيم الدراسة :**مفهوم ديناميات :**

الدينامية فكرة القوة المؤدية إلى التغيير (5) ويؤدي هذا التغيير إلى إحداث التوازن داخل الأنساق الفرعية بطبيعة كونها.

وبالتالي فإن علم ديناميات الجماعة كونه فرع من فروع المعرفة يتصل بالسلوك الإنساني والعلاقات الاجتماعية الإنسانية , وليس من الضروري الارتباط بأيدولوجيات معينة, والتمسك بأساليب معينة في أداء الجماعات إذا أردنا الوصول لفهم أفضل لطبيعة الحياة الاجتماعية(6).

المفهوم الإجرائي للديناميات وفقا للدراسة الحالية :

- هو التغيير الذي يحدث بالأنظمة الاجتماعية في المجتمع.

- هو التغيير الذي يحدث في إجراءات وطقوس الوفاة في قبيلة الفقراء والمليكاب بالغابة بمركز دراو بمحافظة أسوان.

مفهوم الوفاة :

(مات) الحى – موتا : فارقتة الحياة (7)

المفهوم الاجرائي للوفاة :

- الوفاة : هو من تنتهى علاقته بالحياة.

- بسبب الوفاة يختفى المتوفى من شبكة العلاقات(8).

مفهوم التراث الثقافى :

يستخدم مفهوم الثقافة لوصف وتفسير مدى واسع من الأنشطة والسلوكيات والوقائع , والبنىات الموجودة فى حياتنا , ولا يمكن استيعاب الثقافة أو وصفها فى معناها الحقيقى والواسع فى سلة واحدة (9)

لأن التراث يتسع ليشمل كافة منجزات الحضارات الإنسانية التى يتم توارثها , بما فى ذلك العناصر المادية والروحية (أو غير المادية) , فالتراث هو المواد الثقافية التى تشمل العناصر العقلية , والاجتماعية , والمادية , فالتراث بعد من أبعاد البناء الاجتماعى (10).

والثقافة ميراث اجتماعى ؛ فالعادات الخاصة بالنظام الثقافى تنتقل وتستمر عبر الزمن , كما يشارك فيها كل الأفراد , الذين يعيشون داخل تجمعات منظمة , أو جماعات تحرص على الامتثال لتلك العادات تحت وطأة الضغوط الاجتماعية(11)

فالتراث الثقافى هو مجموعة من النماذج الثقافية التى يتلقاها جيل من الأجيال السابقة , وهو من أهم العوامل فى تطور المجتمعات البشرية(12).

تراث ثقافى: Cultural heritage

العناصر الثقافية المادية واللامادية الموروثة والمتراكمة من أجيال سابقة(13).

المفهوم الاجرائى للتراث الثقافى وفقا للدراسة الحالية:

هو كل ما ينتقل من الجيل القديم إلى الجيل الجديد من عناصر ثقافية بمختلف أنواعها المادية واللامادية، والخاصة بالتغيير الذى أدخل على إجراءات وطقوس الوفاة .

النتائج والتوصيات: Recommendations and Results

1- النتائج :

- أوضحت نتائج الدراسة الميدانية التالي :
- إن معظم العائلات فى القبيلة يفضلون الإعلان عن الوفاة عن طريقة الهاتف النقال أو عن طريق ميكروفون المسجد , مع التركيز على موعد الجنازة وتحركها من منزل أهل الميت ثم الصلاة على الميت بالمسجد , ثم الانتقال إلى المقابر للدفن .
 - هناك تغير فى التراث الثقافى لطقوس الوفاة , والاكتفاء بالعزاء فى المدافن , لما يكلف أسرة المتوفى مبالغ كبيرة يفضل أن تستفاد بها أسرته.
 - استخدام التكنولوجيا " الهاتف المحمول " و " الفيس بك " للإعلان عن حالة الوفاة , حيث أنها أسرع , وموفرة للوقت والجهد والمال.

2- التوصيات :

- 1- من خلال العرض السابق يمكن الاهتمام بالدراسات الخاصة بدورة الحياة التى تتضمن العادات والتقاليد عن : الولادة , والطفولة , وعادات الرضاعة والفظام , وشعائر التكريس , والختان , والبلوغ , والزواج , والوفاة , و.....الخ. ويعتبر كل موضوع له أهميته ويثرى المكتبة الأنثروبولوجية.
- 2- ضرورة عمل أرشيف لتسجيل الموروثات الثقافية والحفاظ عليها من الأندثار من قبل الدولة والجمعيات الأهلية المتخصصة فى الموروثات الثقافية

المراجع

المعاجم:

- 1- المعجم الوجيز , مجمع اللغة العربية , ج م ع , 2002م , ص 594.
- 2- معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا , مجمع اللغة العربية , ط1 , القاهرة , 2013م , ص 51.

الكتب العلمية:

- 3- سعد جلال : علم النفس الاجتماعى, منشورات جامعة قاريونس , بنغازى, ليبيا , 1989م, ص207.
- 4- سميح شعلان : الموت والمأثورات الشعبية , دراسة ميدانية بقرية كفر الأكرم بمحافظة المنوفية , رسالة ماجستير غير منشورة , أكاديمية الفنون , المعهد العالى للفنون الشعبية , 1991م.
- 5- شاکر عبد الحميد : الفن وتطور الثقافة الإنسانية , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 2021م , ص51.
- 6- عبد العزيز راغب شاهين : ما الأنثروبولوجيا , (علم الإنسان) , ط1 , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , 2021م , ص74.
- 7- على الدين السيد : الأسرة والطفولة فى محيط الخدمة الاجتماعية , د/ن , القاهرة , 2006م, ص36.
- 8- لويس كامل مليكه: سيكولوجية الجماعات والقيادات , الجزء الأول , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , 1989م , ص ص : 101-102.

9- محمد الجوهري : التراث والتغير الاجتماعي " نحو اطار نظري " , تقارير بحث " التراث والتغير الاجتماعي " , الكتاب الأول , الإطار النظري وقرارات تأسيسية , ط 1 , مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية - كلية آداب - جامعة القاهرة , 2002م , ص24.

الرسائل العلمية والمؤتمرات:

10- محمد حساني على : ثقافة المجتمعات الحدودية بين مصر والسودان " دراسة لآليات التوطين الثقافي لقبائل العبايدة والبشارية بوادي العلاقي، دراسة ماجستير غير منشورة قسم الأنثروبولوجية معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة أسوان 2021م

11- محمد ماهر مصطفى : إحياء التراث الثقافي بمدينة غدماص , رسالة ماجستير غير منشورة " قسم الأنثروبولوجيا " , كلية الدراسات الإفريقية العليا , جامعة القاهرة, 2013م

12- مرفت العشماوي : دورة الحياة عند الفرد : دراسة أنثروبولوجية مقارنة للعادات والتقاليد الشعبية فى مجتمع رشيد و رسالة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب, جامعة الإسكندرية , 1991م.

المجلات العلمية والتقارير الدورية:

13- تقارير بحث " التراث والتغير الاجتماعي " , الكتاب الأول , الإطار النظري وقرارات تأسيسية , ط 1 , مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية - كلية آداب - جامعة القاهرة , 2002م , ص ص : 72-143.